

السبـــــت 2010-11-06

1163 - قصـــــة جـــــديـــــدة: المـــــفتـــــام

قام فجأة، وكان قد فتح التلفزيون فامتلت الشاشة بنقاط بيضاء ووش كثير، لم يحاول أن يضغط على أى زر ليجلب أية قناة، لكنه خفض من مفتاح الصوت حتى صمت الوش نهائيا ولم تبق إلا النقاط البيضاء تملأ الشاشة وتراقص في تحد غامض، قام مسرعا كأنه تذكر أمرا هاما وتوجه إلى الباب، وأحكم إغلاقه بالمفتاح، ثم عاد يتلفت حوله في كل اتجاه يبحث عنها، ثم عاد إلى مقعده وقد زاد افتقاده لها، لم يكد مجلس حتى قام من جديد واتجه نحو الباب، تأكد من الغلق، نزع المفتاح من مكانه وقد وصله وقع أقدام في المرمر، نظر من الثقب فرأى ساقى سروال رجالي، لا، هم أربعة سيقان لا اثنتين، نعم رجالي، لكن المهمة كانت نسائية، أخذت الأصوات تبعد فعاد يبحث عن المفتاح الذى نزعته حالا من الثقب فلم يجده، أضاء الأنوار وفتح الأدراج ونظر تحت الكراسى وبجوار السرير بلا طائل، يوجد مفتاح "رئيس" في إدارة الفندق يفتح كل الحجرات، ما عليه إلا أن يطلب الاستقبال فيأتى ويفتح الباب، توجه إلى الهاتف، وبدلا من أن يطلب الاستقبال، أدار الرقم الذى يحضر له الخط الخارجى، دبت فيه الحرارة فورا، نقر رقما مألوفاً له جدا حتى أنه يطلبه عادة دون النظر إلى لوحة الأرقام، انتظر طويلا حتى انقطع الرنين وجاءه صوت بالإنجليزية يقول "نحن لسنا في المتناول الآن، لو سمحت أترك رسالة، ورقم هاتفك إن شئت بعد سماع الصفارة"، نفخ، وسكت، وانتفخ، وسمع الصفارة فقال بصوت مرتفع: " ملعون أبوك خواجه ابن كلب، من أنت حتى أترك لك رسالة؟؟"، قام فزعا وسماعة التليفون بيده وراح ينفذها وكأنه يود أن يفرغ منها الرسالة التى خرجت منه غصبا، ماذا لو سمعت أولها دون أن تكملها؟

توجه إلى السرير وأثار المصباح المجاور لرأسه (الأباجورة) وأطفأ نور الحجرة، ووضع الوسادتين الصغيرتين في وضع مائل شبه رأسى حتى يتمدد نصف امتداد ويقراً كما اعتاد قبل النوم، كان قد خلع سرواله دون القميص وحين وقع نظره على صورته في مرآة الصبوان تعجب جدا ثم رفض جدا، هم أن يقول "له" شيئا لكنه تراجع، مد يده إلى الكتاب الذى كان ينتظره، وراح يتأمل العنوان وكأنه يقرأه لأول مرة، مع أنه انتهى من أكثر من نصفه " التفسير الجنى للتاريخ، وبيولوجية الغباء المكتسب"، ابتسم، كانت ابتسامة قصيرة غبية، وحين لم

تجد مريرا لظهورها اختفت ولم يحل محلها أى تعبير آخر، أزاح الوسادتين من خلف رأسه، وانزلق تحت الغطاء، وأغلق النور ونام على الفور، فعلاً شخيره حتى قبل أن يستغرق.

بدأ حانية تهدهد خده الأيسر، فتح عينيه، فتبين له الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، ها هو نور السماء يقترب من ضلقة النافذة النصف مفتوحة، برغم أنها ليست نصف مغلقة، ضغط على زر كمثرى بجواره فملاً ضوءاً أبيض مصنوع زائف كل الحجرة حتى اختفت صاحبة اليد الحانية، أزاح الضوء الفاقع البلاستيك نور قبيل الصبح الذى كان يستأذن فى دعة أن يحطو إلى الحجرة، أطفأ الضوء الأبيض القبيح بسرعة حتى يأذن للصبح بالدخول، فلم يجد وراء النافذة إلا سواد ليل شديد القسوة، متى نحن إذن؟ كم الساعة؟ ،

اندفس تحت الغطاء من جديد وسحب على رأسه حتى غطى وجهه تماماً، لم يطاوعه نوم جديد، قفز من السرير بعد أن اكتفى بإضاءة نور الأباجورة بجواره تجنباً لذلك الضوء الروبوت المجرم القتال، لمح المفتاح بجوار الأباجورة بشكل يستحيل إغفاله، لم يتساءل كيف لم يعثر عليه أمس وهو بكل هذا الظهور.

وهو ينظفها فى مرآة الحمام اكتشف أن له أسناناً بيضاء ناصعة، لكنه لاحظ لأول مرة أن نائياً فكه الأسفل بارزين إلى أعلى عن بقية الأسنان أكثر مما اعتاد رؤيتهما، كشر عن أسنانه أكثر، ثم تهادى، فبرزت أنيابه أكثر، وإذا به يقهقه بصوت مرتفع جداً، سكت فجأة، تلمص ثم ابتعد بسرعة.

ترك نفسه يسقط على كرسى كبير (فوتيه) مريح، أحاطه تماماً، وإذا به ينخرط فى بكاء طويل صادق بصوت خافت مكتوم، أسكت نفسه بسرعة وهو خجلان وراح يتلفت حوله، هي لا تحب أن تراه وهو يبكى، هل يمكن أن تكون قد سمعته؟ وبدلاً من أن يخفص الصوت أكثر، انفجر منه بكاء آخر طليق حر بدون وصاية، فراح ينشج بصوت مرتفع سمح له أن يعلو باضطراب، ثم سكت فجأة أيضاً،

رفض أن تصعب عليه نفسه مثل زمان.

قرر أن يذهب إلى الناحية الأخرى بإصرار واضح، وألا "يعود" مهما كان، حاول أن يصفر بقمه نغم أغنية يجيها، ففشل، وهو يعلم أنه لم يحذق ذلك أبداً، وكان -مراهقاً- يغار من ابن عمه ذى الشعر الأسود الناعم الفاحم، ومن أخيه الأوسط وهما يعزفان لحناً كاملاً بصغير الفم، فيختفى منهما ويحاول أن يقلدهما فى دورة المياه، فيفشل ولا يعود، فات الأوان.

لم يخلق ذقنه فهو قد حلقها ليلة أمس بمناسبة الاجتماع الختامى للمؤتمر، ارتدى حلته، نظر فى المرآة وهو يصف شعره فلاحظ أن وجهه رائق بالرغم من كل شيء، فلم يفتح شفتيه، ولم ير أسنانه، وإن تذكرها، ولكن ظل وجهه رائقاً.

لم يكن باب الحجرة مغلقاً جداً - ليس يدري كيف- فلم يضطره ذلك أن يتذكر أنه لم يأخذ المفتاح معه، وغادر الحجرة دون أن يضع يده فى جيبه بحثاً عنه.

الإسكندرية 30 أكتوبر 2010